

المحاضرة السادسة: فلسفة الأخلاق في الحضارة الصينية والهندية - دراسة مقارنة في  
الأسس والغايات والتحويلات

(الجزء الثالث)

علي كريم

الجزء الثالث: التحليل المقارن والجسور الحديثة

بعد استعراض البنى الأخلاقية لكل حضارة، ننتقل الآن إلى التحليل المقارن، مستعينين  
برؤى الفلاسفة المقارنين لاستجلاء مواطن الالتقاء والافتراق.

تاسعا: جدلية الفعل واللافعال (وو-وي مقابل نيشكاما كارما)

كلا الحضارتين واجهتا معضلة الفعل البشري: كيف نمارس الحياة دون أن نُستنزف أو  
نفسد العالم؟

وجه المقارنة	نيشكاما كارما (الهند - غيتا)	وو-وي (الصين - داوية)
الترجمة	العمل المنزه عن الرغبة	الفعل اللاواعي / اللافعال
الآلية	العمل وفق الواجب (دارما) مع تسليم النتائج للإله.	العمل وفق الطبيعة (داو) مع إزالة التدخل الواعي.

وجه المقارنة	نيشكاما كارما (الهند - غيتا)	وو-وي (الصين - داوية)
الغاية	خلاصية: التحرر من قيد الكارما والولادة.	تناغمية: البقاء والانسجام مع الكون.
دور الإرادة	الإرادة حاضرة لكنها منضبطة وموجهة (يوغا).	الإرادة الفردية تذوب ليحل محلها تيار الداو.
السياق	غالباً ضمن تراتبية اجتماعية صارمة (نظام الطبقات).	غالباً نقد للتراتبية الاجتماعية والقيم المصطنعة.

رغم التشابه الظاهري في الدعوة لعدم التعلق، فإن الغايات متباينة. "نيشكاما كارما" هي استراتيجية لتحسين الروح من العالم بينما يبقى الجسد فاعلاً فيه (عزلة داخلية). أما "وو-وي" فهي استراتيجية للسماح للعالم (والذات) بالعودة لتوازنه الطبيعي (اندماج كلي). الهندي يريد "قهر" العالم عبر الزهد فيه، بينما الصيني يريد "استيعاب" العالم عبر مسيرته.

#### عاشرا: التوتر بين الاجتماعي والمتعالي

يمكن رصد تباين جوهرى في "موقع" القيمة الأخلاقية.

- الصين: أخلاق المحايثة (Immanence) يجادل "فنج يولان" بأن الفلسفة الصينية (خاصة الكونفوشية) هي "دنيوية" (This-worldly) "لا توجد حقيقة منفصلة (مثل عالم المثل أو البراهمان) تُعتبر "أكثر حقيقة" من العالم المادي. المطلق يوجد داخل العلاقات الإنسانية. الحكيم هو من يحقق "القداسة في الداخل والملك في

• الهند: أخلاق المتعالى: (Transcendence) تُسم الفلسفة الهندية بـ "توتر متعال".  
عالم العلاقات الاجتماعية (سامسارا) غالباً ما يُنظر إليه كـ "مايا" (وهم) أو  
مسرحية إلهية (ليلا). الدعوة الأخلاقية العليا (سانياسا) تتطلب ترك المجتمع. هناك  
تعارض هيكلى بين الدارما (صيانة العالم) والموكشا (الخروج منه)<sup>2</sup>.

استدراك: لا ينبغي المبالغة في هذا التبسيط. فالبوذية (خاصة مدرسة المادياماكا) أعلنت  
لاحقاً أن "السامسارا هي النيرفانا"، وهدمت الجدار بينهما. وبالمقابل، طورت الكونفوشية  
الجديدة (Neo-Confucianism) في عهد أسرة سونغ ميتافيزيقا (مبدأ "اللي") تقترب  
من المطلق المتعالى، متأثرة بالبوذية<sup>6</sup>.

#### الحادي عشر: التفاعل التاريخى - تصنيف البوذية

كان دخول البوذية من الهند إلى الصين واحداً من أعظم حوارات الحضارات في التاريخ.  
واجهت الأخلاق البوذية (الزهدية، العزوية) صداماً عنيفاً مع الأخلاق الكونفوشية  
(الأسرة، الاستمرار البيولوجى).

• الصراع: اتهم الصينيون الرهبان البوذيين بالعقوق (Bu Xiao) ؛ فخلق الشعر هو  
إيذاء لجسد منحه الوالدان، والرهبنة هي قطع للنسل وحرمان للأسلاف من  
القرايين.

• التبيئة: (Sinicization) اضطرت البوذية للتكيف. ركزت على نصوص تجذب  
الوالدين (مثل "سوترا أولامبانا")، وجادلت بأن "الراهب الواحد يخلص سبعة  
أجيال من أسلافه"، مما يجعله "فاتق البر".

• ظهور "شان" (الزن): كانت ثمرة هذا التزاوج هي بوذية "شان" (Chan)، التي  
جردت البوذية من الميتافيزيقا الهندية المعقدة، ومرجت "الفراغ" البوذي بـ

"الطبيعية" الداوية. معلم الزن، الذي يصرخ أو يضرب تلميذه ليحفز استنارته الفورية، يشبه الحكيم الداوي المتمرد أكثر مما يشبه الراهب الهندي التقليدي<sup>22</sup>.

## الثاني عشر: الجسور الحديثة - رادكريشنان وفنغ يوان

في القرن العشرين، برز مفكرون حاولوا إعادة تقديم تراثهم بلغة فلسفية عالمية، دفاعاً عنه أمام الحداثة الغربية.

سارفيبالي رادكريشنان: الحدس والدفاع عن الفيدانتا

واجه رادكريشنان النقد الغربي القائل بأن الفكر الهندي "نافي للحياة (Life-negating)" وغير أخلاقي (بسبب فكرة المايا).

- دفاعه: جادل بأن "مايا" لا تعني أن العالم هلوسة، بل أنه ليس حقيقياً بشكل مستقل عن المطلق. العالم هو ساحة الفعل الأخلاقي.
- الحدس: (Intuition) طرح "الحدس" كأداة معرفية أرقى من "العقل" الغربي التحليلي. الأخلاق ليست اتباعاً لقواعد، بل هي "إدراك حدسي" لوحدة الوجود<sup>15</sup>.
- العالمية: قدم الهندوسية ليس كدين طائفي، بل كـ "دين للروح (Religion of Spirit)"، معتبراً أن أخلاق الفيدانتا (رؤية الذات في الآخر) هي الأساس الوحيد الصالح للديمقراطية وحقوق الإنسان<sup>25</sup>.

فنغ يوان: الميتافيزيقا العقلانية الجديدة

حاول "فنغ يوان" عصرنة الكونفوشية باستخدام المنطق الوضعي الغربي (حلقة فيينا).

- الفلسفة الجديدة: (Xin Lixue) جرد مفاهيم الكونفوشية الجديدة من دلالاتها الكونية القديمة. "الي" (المبدأ) أصبح يعني "الصورة المنطقية"، و"التشي" أصبح "المادة".

• دوائر الحياة: اقترح ترابعية لـ "دوائر العيش":

1. الدائرة الغريزية (الحيوانية).

2. الدائرة النفعية (الأنا).

3. الدائرة الأخلاقية (المجتمع - كونفوشية).

4. الدائرة المتعالية (الكون - داوية).

رؤية: يضع فنج "المتعالي" في القمة، دمجاً لهم الكوني (الداوي/البوذي) فوق المهم الاجتماعي (الكونفوشي)، لكنه يصر على أن الوصول للمتعالى لا يتم إلا عبر المرور بالأخلاقى.6

موزونغسان (Mou Zongsan) الميتافيزيقا الأخلاقية

انخرط "موزونغسان" (من الكونفوشية الجديدة) في حوار عميق مع "كانط". جادل كانط بأن الإنسان لا يمكنه معرفة "الشيء في ذاته (Noumenon)" لأنه يفتقر للحدس العقلي. رد "مو" بأن الفلسفة الصينية تؤكد إمكانية الحدس العقلي (Intellectual Intuition) عبر الممارسة الأخلاقية. بالنسبة لـ "مو"، الأخلاق ليست مجرد تنظيم للسلوك، بل هي القوة التي "تخلق" وتديم الكون.26 (Moral Metaphysics)

خاتمة: الحكيم والرأي في عالم اليوم

تكشف هذه الدراسة المقارنة عن نمطين متميزين من الوجود الإنساني. تقدم الصين نموذجاً جمالياً-أخلاقياً: (Aesthetic-Moral) الحياة هي "حرفة" أو طقس أدائي يتطلب التناغم مع السياق المباشر (الأسرة والطبيعة). الحكيم هو فنان هذا الأداء. وتقدم الهند نموذجاً علاجياً-ميتافيزيقياً: (Therapeutic-Metaphysical) الحياة هي حالة من المعاناة أو القيد الناتج عن الجهل، والأخلاق هي الدواء اللازم للاستيقاظ على الحقيقة المطلقة.

في عالمنا المعاصر، الذي تهيمن عليه العقلانية الأداة والمادية، تقدم هذه الفلسفات تصحيحات حيوية:

- التصحيح الهندي: يذكرنا بأن التقدم المادي (أرثا) والمتعة (كاما) يظلان خواءً بدون بوصلة (الدارما) ووعي بالمطلق (موكشا). إنه تحدٍ لـ "الأنا" الاستهلاكية.
  - التصحيح الصيني: يذكرنا بأننا لسنا أفراداً معزولين بل عقد في شبكة علاقات (رين)، وأن الإفراط في التدخل والسيطرة على الطبيعة قد يؤدي لكوارث، مقدماً "وو-وي" كترياق للإرهاق الحديث.
- ختاماً، وكما لاحظ ويل ديورانت، فإن الشرق لا يقدم مجرد "ديانات" أو "تصوف"، بل حضارات ناشجة اختبرت حدود التعاون البشري والوعي لآلاف السنين. إنها ليست آثاراً من الماضي، بل خزانات حكمة لمستقبل عالمي يسعى للتوازن بين القوة التقنية والغاية الإنسانية.

### جدول مقارنة للمفاهيم الأخلاقية الأساسية

الميزة	الكونفوشية (الصين)	الداوية (الصين)	الهندوسية (الهند)	البوذية (الهند)
المثل الأعلى	الجونزي (النبل)	شينغرين (الحكيم)	جيفانموكتا (المتحرر حياً)	أرهات / بوديساتفا

الميزة	الكونفوشية (الصين)	الداوية (الصين)	الهندوسية (الهند)	البوذية (الهند)
الفضيلة الجوهرية	الرين (التراحم/الإنساني ة)	وو-وي (اللافاعل )	الدارما (الواجب/النظا م)	كارونا (الشفقة)
العلاقة بالمجتمع	انخراط عميق؛ مركزية الأسرة	انسحاب نسبي؛ نقد القيم المصطنعة	انخراط (لرب الأسرة) أو زهد (للسانياسين)	مجتمع رهباني (سانغا) أو وصايا للعوام
الأساس الوجودي	محايت؛ نظام السماء الأخلاقي	طبيعي؛ سريان الداو	ميتافيزيقي؛ وحدة الأتمان والبراهمان	نفسى/ميتافيزيقي ي؛ النشأة المعتمدة
النص المرجعي	المحاورات (لون يو)	داو دي جينغ	الباغافاد غيتا	دهمابادا / السوترات
طبيعة الشر	الفوضى، غياب التربية، الأنانية	التكلف، مخالفة الطبيعة	الجهل (أفيديا)، الآدارما	الرغبة/التشبث (تانها)

# محاضرات فلسفة الأخلاق